



صاحبـي (فـ) تـدـيـنـ أـخـيـراـ وـلـمـ يـحـصـلـ عـلـىـ تـعـلـيمـ كـافـ، وـتـلـقـىـ مـنـ حـوـلـهـ بـضـعـ مـسـائـلـ يـدـورـ عـلـيـهاـ حـدـيـثـ وـاـهـتمـامـ؛ كـتـبـ لـيـ رسـالـةـ يـشـكـوـ فـيـهاـ مـنـ مـظـاهـرـ سـلـيـةـ تـدـورـ حـولـ الـلـحـيـةـ، وـالـإـسـبـالـ، وـالـغـنـاءـ، وـكـشـفـ وـجـهـ الـمـرـأـةـ، وـالـنـمـصـ، وـالـتـدـخـينـ..ـ

احتسابـهـ مـحـمـودـ، وـنـيـتـهـ صـالـحةـ، وـلـلـشـرـيـعـةـ كـلـمـتـهـ فـيـ التـفـصـيـلـاتـ كـمـاـ لـهـ كـلـمـتـهـ فـيـ الـكـلـيـاتـ، وـلـكـنـهـ يـحـتـاجـ إـلـىـ أـنـ يـعـطـيـ مـوـضـوـعـ الـإـيمـانـ وـتـرـسـيـخـهـ فـيـ الـقـلـبـ وـالـعـقـلـ، وـتـعـظـيمـ اللـهـ وـمـحـبـتـهـ وـرـجـاءـهـ وـخـوفـهـ..ـ مـزـيدـاـ مـنـ الـاـهـتمـامـ وـالـأـولـويـةـ!ـ يـحـتـاجـ إـلـىـ جـؤـارـ إـلـىـ رـبـهـ بـالـشـكـوـىـ مـنـ هـشـاشـةـ الـإـيمـانـ، وـغـيـابـ الـإـحـسـاسـ بـالـرـقـيـبـ الـرـبـيـانـ لـدـىـ النـاسـ، وـسـطـوـةـ الـمـادـيـاتـ،ـ وـضـعـفـ الـأـخـلـاقـ، وـجـفـافـ الـرـوـحـ!

كـانـ الصـحـابـةـ يـتـعـلـمـونـ الـإـيمـانـ قـبـلـ الـقـرـآنـ،ـ كـمـاـ يـقـولـ اـبـنـ عـمـ:ـ "تـعـلـمـنـاـ الـإـيمـانـ ثـمـ تـعـلـمـنـاـ الـقـرـآنـ فـازـدـدـنـاـ إـيمـانـاـ،ـ وـأـنـتـمـ تـعـلـمـونـ الـقـرـآنـ ثـمـ تـعـلـمـونـ الـإـيمـانـ"ـ (ـأـخـرـجـهـ الـحـاـكـمـ وـغـيـرـهـ وـصـحـحـهـ).

وـعـنـ جـنـدـبـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ قـالـ:ـ (ـكـنـاـ مـعـ النـبـيـ -ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمــ).ـ وـنـحـنـ فـتـيـانـ حـزـاـوـرـةـ فـتـعـلـمـنـاـ الـإـيمـانـ قـبـلـ أـنـ نـتـعـلـمـ الـقـرـآنـ ثـمـ تـعـلـمـنـاـ الـقـرـآنـ فـازـدـدـنـاـ بـهـ إـيمـانـاـ)ـ (ـأـخـرـجـهـ اـبـنـ مـاجـهـ).

وـمـنـ معـنـىـ هـذـاـ أـنـ يـبـدـأـ التـفـقـهـ وـالـتـعـلـمـ بـمـعـرـفـةـ أـسـمـاءـ اللـهـ وـصـفـاتـهـ،ـ وـدـرـاسـتـهـ دـرـاسـةـ رـبـيـانـةـ تـقـومـ عـلـىـ تـجـذـيرـ الـإـحـسـاسـ بـهـاـ فـيـ الـقـلـبـ قـبـلـ الـخـوضـ فـيـ الـجـدـلـ مـعـ الـمـخـالـفـ وـالـمـنـحـرـفـينـ،ـ وـلـيـسـ كـلـ أـحـدـ يـحـتـاجـ إـلـىـ الـجـدـلـ وـمـعـرـفـةـ طـرـائـقـ الـفـرـقـ وـمـذـاهـبـهاـ،ـ وـإـنـمـاـ هـذـاـ شـأـنـ الـمـتـخـصـصـيـنـ وـالـبـاحـثـيـنـ.

وـإـذـاـ كـانـ اـبـنـ عـمـ تـجـرـأـ وـعـابـ قـرـاءـ زـمانـهـ بـأـنـهـ يـتـعـلـمـونـ الـقـرـآنـ ثـمـ يـتـعـلـمـونـ الـإـيمـانـ،ـ فـكـيفـ سـيـقـولـ عـمـنـ يـتـعـلـمـونـ الـفـلـيـلـ مـنـ الـقـرـآنـ وـلـاـ يـتـعـلـمـونـ مـعـهـ وـلـاـ بـعـدـ دـرـوسـاـ حـقـيقـيـةـ فـيـ الـإـيمـانـ؟ـ

تـعـرـفـ إـلـىـ اللـهـ بـآـيـاتـهـ وـكـلـمـاتـهـ وـأـفـعـالـهـ مـعـرـفـةـ تـورـثـ الـحـبـ،ـ فـالـحـبـ هـوـ أـعـظـمـ مـكـوـنـاتـ الـعـبـودـيـةـ،ـ وـلـهـ النـصـيبـ الـأـوـفـرـ وـالـحـظـ الـأـكـثـرـ،ـ فـهـوـ كـالـرـأـسـ لـلـطـائـرـ.

وـيـأـتـيـ بـعـدـ ذـلـكـ الرـجـاءـ وـالـخـوفـ،ـ وـهـمـ مـتـعـادـلـانـ مـتـسـاوـيـانـ كـالـجـنـاحـيـنـ.

حـينـ تـعـرـفـ رـبـكـ وـرـحـمـتـهـ وـفـضـلـهـ وـسـعـتـهـ وـكـرـمـهـ،ـ وـتـعـرـفـ عـطـاءـهـ وـجـوـدـهـ،ـ وـتـعـرـفـ عـقـابـهـ وـعـذـابـهـ لـلـمـعـانـدـيـنـ،ـ فـسـوـفـ تـعـتـدـلـ كـفـةـ الـأـحـكـامـ عـنـدـكـ،ـ وـتـعـطـيـ كـلـ ذـيـ حـقـ حـقـهـ دـوـنـ إـجـحـافـ أـوـ اـعـتـسـافـ،ـ سـتـتوـازـنـ فـيـ عـنـايـتـكـ بـالـبـاطـنـ وـالـظـاهـرـ،ـ وـتـتوـازـنـ فـيـ مـرـاـقـبـةـ

نفسك قبل مراقبة الآخرين.

«الإيمان أولاً»؛ هو الشعار الذي يجب أن تقوم عليه التربية والدعوة والتعليم، ثم تبني المسائل العملية على ذلك الأساس المتيقن بلا إفراط ولا تفريط.

قد تشيع الثقافة الدينية في مجتمع ما، ولكن هذا لا يعني أن الناس أصبحوا متدينين حقاً وصدقأً حتى يصرفوا الجهد الكبير والأعظم والأطول لمسألة الإيمان القلبي الصادق العميق؛ الذي يصل العبد بربه خضوعاً وخشوعاً ومحبةً ورجاءً وخوفاً وإدراكاً لحكمته في الأقدار، وإنماً بوعده ووعيده وأخباره وأحكامه حتى لو لم يعلموا تفصيلاً فهو مستعدٌ للإيمان بها وامتثالها والاستسلام لمقتضياتها.

في قوله سبحانه: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَّبِّهِ وَيَنْتُهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} (17) سورة هود.

أشار ابن تيمية إلى أن البينة هي الإيمان والشاهد الذي يتلوه هو القرآن.

وفي قوله تعالى: {نُورٌ عَلَى نُورٍ} (35) سورة النور، قال: نور الإيمان، ثم نور القرآن.

وكان السلف يعتنون بتعليم الصغار (المفصل) من القرآن ويسمونه (المحكم)، حتى قال عمر: "من كان منكم متعلماً فليتعلم المفصل فإنه أيسر"، والمفصل يكاد أن يكون من المكي المختص بترسیخ العقيدة وتدعم الإيمان والتعریف بالله.

ثم شباب منشغل عن الدين الحق بالدين الفرعی التفصيلي، ومنشغل عن تقویم نفسه بتقویم الآخرين، وعن مراقبة باطنہ بمراقبة الخلق أو التسرع في إصدار الأحكام ضدهم.. وكأنه قاضٍ في محكمة جنایات!

حين تعرف الله ثم تسمع حدیثاً یتوعد بالطرد من رحمته على فعلٍ لا يرقى إلى الذنب أو مختلف فيه بين الصحابة ومن بعدهم كخضاب السواد، فلن يشق عليك أن تقدم المعرفة الإيمانية الجوهرية برحمة الله وسعة فضله وجوده ومغفرته على آثار متربدة بين الثبوت والضعف والرفع والوقف والعلة والسلامة!

وعلى القول بصحتها فقد یغيب عنك مغزاها، ومعناها، ومقصداها، وسياقها الذي وردت فيه، ولعلها وعيٍ على إخلال بأصول الأخلاق أو التعامل، وتم الرمز له بأحد مظاهره أو أشكاله السائدة المقررة لدى المخاطبين الأولين..

أو هو وعيٍ على من یفعل ذلك لغرض فاسد؛ كالغش أو التغیر أو تقمّح المحرمات والمنكرات.

تعتني الدروس الرسمية والحلق العلمية بآيات الأحكام، وأحاديث الأحكام، وفقه الأحكام حتى لطفٍ في المرحلة المتوسطة أو الثانوية فضلاً عن فتى في الجامعة، ثم تصبح هذه المعلومات المدروسة محور الجدل والحوار والبحث والملاحظة والإنكار، حتى یقول كثير من الطلبة: أتمنى أن أصبح مفتياً أو فقيهاً، وقد يكون ذلك لتطبع نفسه لنوع من الرئاسة والواجهة على حداثة سنها!

- أين الدروس التي تزرع فيها حب الله منذ نعومة أظفارنا؟

- أين المجالس التي تملأ جوانحنا بتعظيمه ورجائه وخشيته؟

- أين الحلقات التي تحب إلينا شخص نبينا الكريم وسيرته وسننه؟

- أين نتعلم مكارم الأخلاق والآداب في اللسان والجوارح؟ والتي إنما بعث النبي - عليه الصلاة والسلام - لتمكيلها وتنميها.

- أين نجد رياض الجنة التي تصلنا بالله وتعزز إيماننا، وتصلنا بالقرآن كما أنزل، لا تقتصر على أحكام الحلال والحرام أو معرفة المفردات أو الإعراب فحسب؟

ثم فقهان محتاجان إلى تأملٍ ونظر:

أولهما: فقه الأولويات، ووضع الأمور في ترتيبها الصحيح من غير إخلال بأصل ولا بفرع.

والثاني: فقه المقادير؛ الذي يعني بإعطاء كل ذي حق حقه من غير إسراف ولا إقتار.

اللهم اجعلنا من أردت بهم خيراً ففقهتهم في الدين وعلمتهم التأويل، واجعل ما علمتنا حجة لنا لا حجة علينا يا أرحم

الراحمين.

الإسلام اليوم

المصادر: